شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

خرّج أحاديثه وعلّق عليه

محمد بيومي

ترجمة الإمام ابن قدامة

اسمه ونسبه:

هو موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة ابن مقدام بن نصر المقدسى الجماعيلى ثم الدمشقى الصالحى.

مولده:

ولد بجَمَّاعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة فى شعبان.

شيوخه:

رحل ابن قدامة هو وابن خاله الحافظ عبد الغنى فى أول سنة ٥٦١هـ إلى بغداد فى طلب العلم وهناك سمع من عدد كبير من العلماء منهم:

هبة الله بن الحسن الدقاق، وأبى الفتح بن البطيى، وأبى زرعة بن طاهر وغيرهم.

وسمع بدمشق من أبى المكارم بن هلال، وعدة وبالموصل من خطيبها أبى الفضل الطوسى، وبمكة من المبارك بن الطباخ.

تلاميذه:

سمع من الشيخ ابن قدامة عدد كبير من أهل العلم منهم، ابن نقطة، وشهاب الدين أبو شامة المقدسى، والحافظ زكى الدين أبو محمد المنذرى.

من أقوال العلماء فيه:

قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، وكان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل، نزهاً، ورعاً، عبداً، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

وقال عمر بن الحاجب: هو إمام الأئمة، ومفتى الأمة، خصَّه الله بالفضل الوافر، والخاطر الماطر والعلم الكامل، طنَّت بذكره الأمصار، وضنّت بمثله الأعصار، أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية إلى أن قال: وله المؤلفات الغزيرة وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضعٌ، حسن الاعتقاد، ذو أناة وحلم ووقار، مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين، وكان كثير العبادة، دائم التهجد، لم نر مثله ولم ير مثل نفسه.

وقال ابن كثير: شيخ الإسلام، إمام عالم، بارع، لم يكن فى عصره ولا قبل دهره بمدة أفقه منه.

وقال ابن تيمية: ما دخل الشام - بعد الأوزاعى أفقه من الشيخ الموفق.

مذهبه:

كان ابن قدامة - رحمه الله - حنبلى المذهب.

مؤلفاته:

للشيخ ابن قدامة مصنفات عديدة، منها المغنى والكافى، والعمدة وجميعها فى الفقه الحنبلى، ومن تصانيفه أيضاً: الرقة والبكاء، والتوابين، وهذه الكتب فى الرقائق. وله: لمعة الاعتقاد، والقدر ومسألة العلو وهى فى العقيدة وغير ذلك من المصنفات.

وفاته:

توفى - رحمه الله - سنة ٦٢٠هـ.

نبـذة
عن حياة الشيخ ابن عثيمين

اسمه ونسبه :

محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبى التميمى.

مولده :

ولد فى مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم فى ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ.

نشأته وطلبه للعلم :

كان الشيخ قد رزق ذكاء، وهمة عالية وحرصاً على التحصيل العلمى، وقد بدأ الشيخ بقراءة القرآن الكريم على جده لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، محفظه، ثم اتجه إلى طلب العلم على أيدى كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - والذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

ثم قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يعتبر شيخه الثانى، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

وقد التحق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالمعهد العلمى فى الرياض، بعد عام ١٣٧٢ هـ، وبعد خروجه عُيِّن مدرساً فى معهد عنيزة العلمى مع مواصلة الدراسة انتساباً فى كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدى - رحمه الله.

ولما توفى الشيخ السعدى تولى الشيخ ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير بعنيزة، بالإضافة إلى التدريس فى المعهد العلمى ثم انتقل إلى التدريس فى كليتى الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وما زال بها حتى توفاه الله، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

نشاطه فى الدعوة إلى الله :

كان للشيخ - رحمه الله - نشاط كبير فى الدعوة إلى الله ﷻ وتبصير المسلمين، فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة فى المسجد الكبير بعنيزة بالقصيم، وفى دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف فى شهر رمضان من كل عام، ومن خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى موسم الحج، وفى الصحف والمجلات، وفى برنامج: "نور على الدرب" بالإذاعة السعودية. وقد حصل الشيخ - رحمه الله - على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

مؤلفاته :

للشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة فى شتى أنواع علوم الدين، منها على سبيل المثال: ٦٠ سؤالاً عن أحكام الحيض، فى الصلاة والصيام والحج والاعتمار. وأثر المعاصى على الفرد والمجتمع. وأصول فى التفسير. والأصول فى علم الأصول. والخلاف بين العلماء: أسبابه وموقفنا منه. والدماء الطبيعية للنساء. والشرح الممتع على زاد المستنقع. والصحوة الإسلامية: ضوابط وتوجيهات. والعلم. والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى، والقول المفيد على كتاب التوحيد، وشرح العقيدة الواسطية، وشرح أصول الإيمان، وتفسير آية الكرسى،

وتقريب التدمرية، وشرح كشف الشبهات. وتسهيل الفرائض. وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة. ورسائل فى العقيدة. ورسالة إلى الدعاة. وشرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد. ومصطلح الحديث، وشرح المنظومة البيقونية فى علم مصطلح الحديث. وعقيدة أهل السنة والجماعة. وفتح رب البرية بتخليص الحموية "وهو أول كتاب طبع لسماحته".

أولاده:

عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم، والشيخ رحمه الله تزوج زوجة واحدة.

مرضه ووفاته:

توفى الشيخ - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ ك، وصارت درجة المناعة عنده صفراً، وقد أصر الشيخ - رحمه الله - على إلقاء دروسه المعتادة فى الحرم المكى هذا العام بالرغم من معاناته الشديدة للمرض.

فنسأل الله ﷻ أن يتغمده برحمته، وأن يعلى قدره ومنزلته، ويحشره مع الصالحين والشهداء.

* * * * * * * * * * *

مقدمة شرح لمعة الاعتقاد

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده رسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة ٥٤١هـ بقرية من أعمال نابلس، المتوفى يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ بدمشق رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة، ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً، ومنهجاً، وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم - مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب في القصد والعمل - على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه، وتبين موارده، وتبرز فوائده.

والله أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين، وأن يمدني بروح من عنده، وتوفيق، وأن يجعل عملي مباركاً ونافعاً إنه جواد كريم.

محمد الصالح العثيمين

تحريراً في

١٣٩٢/١/١٠هـ

قواعد هامة فى الأسماء والصفات

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد هامة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته(*).

القاعدة الأولى: "في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته"

الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي؛ فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم؛ وهو حرام لقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**}** [سورة الأعراف، الآية: ٣٣].

مثال ذلك قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**}** [سورة المائدة، الآية: ٦٤]. **فإن ظاهر الآية أن لله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.**

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به؛ لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية: في أسماء الله. وتحت هذه القاعدة فروع

الفرع الأول: أسماء الله كلها حسنى: **أي بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى: {**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**}** [سورة الأعراف، الآية: ١٨٠].

(*) للشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ كتاب فى هذا الباب بعنوان "القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى" وقد قمت بتخريج أحاديثه والتعليق عليه فانظره إن شئت فإنه رائع جداً فى بابه.

مثال ذلك: {الرَّحْمَنِ} فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: "الدهر"؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأما قوله ﷺ : «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»(١) فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"(٢).

الفرع الثاني: أسماء الله غير محصورة بعدد معين: لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك» (٣)، وما استأثر به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»(٤) أن معنى هذا الحديث: إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

---

(١) رواه مسلم فى "كتاب الألفاظ من الأدب" (٥٧٥٨) باب النهى عن سب الدهر. عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) رواه البخارى فى "التفسير" (٤٨٢٦) تفسير سورة الجاثية ومسلم فى "الأدب" (٥٧٥٥) باب النهى عن سب الدهر وأحمد (٢/٢٣٨، ٢٧٢) وأبو داود فى "الأدب" (٥٢٧٤) باب فى الرجل يسب الدهر. عن أبى هريرة رضى الله عنه.
وقال الخطابى - فى معنى الحديث - أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤساً للدهر وتباً للدهر. "فتح البارى" (٨/٤٣٨).

(٣) صحيح. رواه أحمد (١/٣٩١، ٤٥٢) وأبو يعلى والحارث بن أبى أسامة فى مسنده (ص ٢٥١ - زوائده) وابن حبان (٩٧٢ - إحسان) والحاكم (١/٥٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٤) رواه البخارى فى "الدعوات" (٦٤١٠) باب لله مائة اسم غير واحد، ومسلم فى "الذكر والدعاء" (٦٦٨٣) باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

الفرع الثالث: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع: فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله: وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: "الرحمن"، فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

القاعدة الثالثة: "في صفات الله" وتحتها فروع أيضاً

الفرع الأول: صفات الله كلها عليا: صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعلو، وغير ذلك، لقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**}** [سورة النحل، الآية: ٦٠]**. ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.**

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [سورة الأنفال، الآية: ٣٠]، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً} [سورة الطارق، الآيتان: ١٥، ١٦]، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [سورة النساء، الآية: ١٤٢]. إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل: لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك، والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله؛ لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل؛ لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتاً.

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} [سورة الكهف، الآية: ٤٩]. فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل لله على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالسمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات الله فإنه يتوجه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية؟ ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها؟ ولماذا؟

السؤال الثالث: هل تماثل صفات المخلوقين؟ ولماذا؟

فجواب السؤال الأول: نعم حقيقية، لأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا يعدل عنها إلا بدليل صحيح يمنع منها.

وجواب الثاني: لا يجوز تكييفها لقوله تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**}** [سورة طه، الآية: ١١٠]**. ولأن العقل لا يمكنه إدراك كيفية صفات الله.**

وجواب الثالث: لا تماثل صفات المخلوقين لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**}** [سورة الشورى، الآية: ١١]**، ولأن الله مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه فلا يمكن أن يماثل المخلوق لأنه ناقص.**

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.

مثال التمثيل: أن يقول قائل: يد الله كيد الإنسان.

ومثال التكييف: أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

القاعدة الرابعة : "فيما نرد به على المعطلة"

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم "المؤولة"، والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.

* * * * * * * * * *

لمعة الاعتقاد

"اللمعة" تطلق في اللغة على معانٍ منها: البلغة من العيش، وهذا المعنى أنسب معنى لموضوع هذا الكتاب، فمعنى لمعة الاعتقاد هنا: البلغة من الاعتقاد الصحيح المطابق لمذهب السلف رضوان الله عليهم. والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد.

مقدمة صاحب المتن (ابن قدامة)

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى عليه رحمة الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

١- الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير،{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١].

له الأسماء الحسنى والصفات العلى:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: ٥ - ٧]. أحاط بكل شئ علما، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، ووسع كل شئ رحمة وعلما:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١]. موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم.

ما تضمنته خطبة الكتاب

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

١- البداءة بالبسملة، اقتداءً بكتاب الله العظيم، واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ.

ومعنى {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}: أي أفعل الشيء مستعيناً ومتبركاً بكل اسم من أسماء الله تعالى الموصوف بالرحمة الواسعة. ومعنى {اللَّهِ} المألوه أي المعبود حباً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً، و {الرَّحْمَنِ} ذو الرحمة الواسعة، و {الرَّحِيمِ} الموصل رحمته من شاء من خلقه، فالفرق بين الرحمن والرحيم أن الأول باعتبار كون الرحمة وصفاً له، والثاني باعتبارها فعلاً له يوصلها من شاء من خلقه.

٢- الثناء على الله بالحمد، والحمد: ذكر أوصاف المحمود الكاملة وأفعاله الحميدة مع المحبة له والتعظيم.

٣- أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان، أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

٤- سعة علم الله بكونه، لا يخلو من علمه مكان، وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر.

٥- عظمته وكبرياؤه وترفعه عن كل شبيه وند مماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه.

٦- تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد، وذلك لكمال غناه.

٧- تمام إرادته وسلطانه بنفوذ قضائه في جميع العباد، فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال.

٨- عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٩- اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

١٠- استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.

١١- عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

١٢- سعة علمه، وقوة قهره، وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

التسليم والقبول لآيات وأحاديث الصفات

٢- وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا[(١)]، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعا لطريق الراسخين في العلم، الذين اثنى عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى:{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**} [آل عمران: ٧].**

---

(١) تعقيب:
قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فى قول صاحب اللمعة: "وجب الإيمان به لفظاً" وأما كلام صاحب اللمعة فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف؛ إذ لايخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الإيمان بما ثبت فى الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز، وأن لها معانى حقيقة تليق بجلال الله وعظمته. وأدلة ذلك أكثر من أن تحصر، ومعانى هذه الأسماء ظاهرة معروفة فى القرآن كغيرها لا لبس فيها ولا إشكال ولا غموض فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ونقلوا عنه الأحاديث لم يستشكلوا شيئاً من معانى هذه الآيات والأحاديث لأنها واضحة صريحة، وكذلك من بعدهم من القرون الفاضلة، كما يروى عن مالك لما سئل عن قوله سبحانه:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} [طه: ٥]، قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وكذلك يروى معنى ذلك عن ربيعة شيخ مالك، ويروى عن أم سلمة مرفوعاً وموقوفاً.**
أما كنه الصفة وكيفيتها: فلا يعلمه إلا الله سبحانه؛ إذ الكلام فى الصفة فرع عن الكلام فى الموصوف، فكما لا يعلم كيف هو إلا هو فكذلك صفاته وهو معنى قول مالك: "والكيف مجهول".
أما ما ذكره فى "اللمعة" فإنه ينطبق على مذهب المفوضة، وهو من شر المذاهب وأخبثها، والمصنف رحمه الله إمام فى السنة، وهو أبعد الناس عن مذهب المفوضة وغيرهم من المبتدعة، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم" أ.هـ عن مكتب الإفتاء (٣٢٨) فى ١٣٨٥/٧/٢٨هـ نقلاً عن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم جمع وترتيب محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم.
قلت: ومن رجع إلى مصنفات ابن قدامة رحمه الله علم يقيناً أنه بعيد كل البعد عن مذهب المفوضة وأهل التأويل لاسيما كتابه (ذم التأويل) الذى رد فيه على أهل التأويل ومن حذا حذوهم من المفوضة وأثبت فيه مذهب أهل السنة من الإيمان بما ثبت فى الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى.
فما ورد عن ابن قدامة هنا بقوله: "وجب الإيمان به لفظاً" من المجمل المتشابه الذى فُسر صريحاً واضحاً بيناً فى مصنفاته الأخرى فيجب الرد إلى المحكم من كلامه عليه رحمة الله. فكل ما ورد عنه مما يحتمل فهو مردود إلى المحكم من كلامه فى سائر تصانيفه والله أعلى وأعلم، قاله أشرف عبد المقصود فى تعليقه على "شرح لمعة الاعتقاد".

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله:{فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ} **[آل عمران: ٧].**

فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ} **[آل عمران: ٧].**

تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين:

واضح جلي، ومشكل خفي.

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه، فيجب الإيمان به لفظاً، وإثبات معناه حقاً بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته، أو قصر في فهم قارئه، فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه، فنرد علمه إلى الله ورسوله.

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: كل من عند ربنا، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيماً لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} **[سورة آل عمران، الآية: ٧].**

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصداً للناس عن دينهم وعن طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون

لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضة والنقص ليشكموا المسلمين في دلالتها ويعموهم عن هدايتها، وهؤلاء هم الذين ذمهم الله بقوله: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ**}** [سورة آل عمران، الآية: ٧]**.**

تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال

إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي، يختلف فيه الناس بحسب العلم والفهم، فقد يكون مشكلاً عند شخص ما هو واضح عند شخص آخر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه. أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين، وبيان للناس، وفرقان، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء، وهدىً ورحمة، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه.

معنى الرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، وحكم كل منها

الرد: التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس لله يد لا حقيقة ولا مجازاً. وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويل: التفسير والمراد به هنا تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفو عنه لأن هذا منتهى وسعه، وقد قال الله تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**}** [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]**.**

الثاني: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

القسم الثالث: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**}** [سورة الشورى، الآية: ١١]**.**

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

كلام أئمة السلف في الصفات

٣ ـ قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه في قول النبي ﷺ : «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن الله يرى فى القيامة» وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى: ١١].

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله. محكمه ومتشابهه. ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن.

ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها

تضمن كلام الإمام أحمد رحمه الله الذي نقله عن المؤلف ما يأتي:

١ـ وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله ﷺ، من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

٢ـ أنه لا كيف ولا معنى أي لا نكيف هذه الصفات؛ لأن تكييفها ممتنع لما سبق، وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته؛ لأن صفاته ثابتة حقاً، وكل شيء ثابت فلابد له من كيفية، لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: ولا معنى أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا ثابت، ويدل على هذا قوله: "ولا نرد شيئاً منها، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نعلم كيفية كنه ذلك". فإن نفيه لرد

شيء منها، ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها.

٣- وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه، وهو ما اتضح معناه، ومتشابه وهو ما أشكل معناه، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه، فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً، وتفويض معناه إلى الله تعالى.

٤ ـ قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

الشرح

ما تضمنه كلام الإمام الشافعي

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

١- الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

٢- الإيمان بما جاء به عن رسول الله ﷺ في سنة رسول الله ﷺ، على ما أراده رسول الله ﷺ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل، وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا، وأهل التمثيل زادوا.

٥ ـ وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ﵃ الله عنهم كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله.

طريق السلف الذين درجوا عليه في الصفات

الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

٦ - وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

الشرح

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». **رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني وجماعة.**

السنة والبدعة وحكم كل منهما

السنة لغة: "الطريقة".

واصطلاحاً: "ما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه من عقيدة أو عمل".

واتباع السنة واجب لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**}** [سورة الأحزاب، الآية: ٢١]. **وقوله ﷺ :** «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا بالنواجذ».

والبدعة لغة: "الشيء المستحدث".

واصطلاحاً: "ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل".

وهي حرام لقوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**}** [سورة النساء، الآية: ١١٥]**. وقوله ﷺ : «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».**

٧- وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ".

٨- وفال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: كلاما معناه: قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

٩- وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضى الله عنه: عليك بآثار منم سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول.

الشرح

الآثار الواردة في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة :

١- من أقوال الصحابة: قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ عن بضع وستين سنة: (اتبعوا) أي التزموا آثار النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص (ولا تبتدعوا) لا تحدثوا بدعة في الدين (فقد كفيتم) أي كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه ﷺ، وأنزل قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم**}** [سورة المائدة، الآية: ٣]**. فلا يحتاج الدين إلى تكميل.**

٢- من أقوال التابعين: قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المولود سنة ٦٣هـ المتوفى سنة ١٠١هـ قولاً يتضمن ما يأتي:

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم - يعني بهم - النبي ﷺ وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة، ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

ب- أن كان ما أحدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.

جـ- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافياً، ومن الناس من تجاوز فكان غالياً، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير.

٣- من أقوال تابعي التابعين: قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة ١٥٧هـ (عليك بآثار من سلف) الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة (وإن رفضك الناس) أبعدوك واجتنبوك (وإياك وأراء الرجال) أحذر أراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، (وإن زخرفوه) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه.

١٠- وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها، قال: فشئ لم يعلمه هؤلاء علمته؟ قال الرجل: فإني أقول قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشئ وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه، لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل، فقال الخليفة، وكان حاضرا: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

١١- وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، والأئمة من بعدهم، والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة

أخبارها، وإمرارها كما جاءت، فلا وسع الله عليه.

الشرح

مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة

لم أطلع على ترجمة للأدرمي[١] ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة، والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم. وقد بنى الأدرمي رحمه الله مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.

المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأذرمي هل علم هذه البدعة النبي ﷺ، وخلفاؤه؟

قال البدعي: لم يعلموها.

وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي ﷺ وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه، ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

---

(١) الظاهر أنه حدث تصحيف فى هذا الاسم والصواب أنه "الأذرمى" واسمه أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الجزرى الأذرمى وهو ثقة كما فى "التقريب" (٤٤٦/١). وأما المناظر له فهو أحمد بن أبى دؤاد، وكان داعية إلى خلق القرآن، وكانت هذه المناظرة فى قضية خلق القرآن. وأما الخليفة الذى حضر المناظرة فهو الواثق بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد.
قال الخطيب البغدادى فى "تاريخ بغداد" (٧٥/١٠): وكان هارون الواثق بالله أشخص شيخاً من أهل أذنة للمحنة وناظر ابن أبى دؤاد بحضرته، واستعلى عليه الشيخ بحجته، فأطلقه الواثق ورده إلى وطنه، ويقال إنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمى.

فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها، فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فقال له الأذرمي: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأدرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب.

ذكر بعض آيات الصفات

١٢ ـ فمما جاء من آيات الصفات قول الله تعالى:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**}** [الرحمن ٢٧]**.**

الشرح

الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

الصفة الأولى: "الوجه":

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالأِكْرَامِ**}** [سورة الرحمن، الآية: ٢٧]**.**

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها" متفق عليه.

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله سبحانه:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة ٦٤].

الشرح

الصفة الثانية: "اليدان":

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [سورة المائدة، الآية: ٦٤].

وقال النبي ﷺ : «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سجاء الليل والنهار» إلى قوله: «بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض». رواه مسلم والبخاري معناه.

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به.

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة، وبوجه رابع أن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعاً كقوله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ} [سورة ﷺ، الآية: ٧٥]. وقوله ﷺ : «وبيده الأخرى القبض».

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفراد كقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْك} [سورة الملك، الآية: ١].

الثاني: التثنية كقوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [سورة المائدة، الآية: ٦٤].

الثالث: الجمع كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً} [سورة يس، الآية: ٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.

وقوله تعالى إخبارا عن عيسى - عليه السلام - أنه قال:{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦].

الشرح

الصفة الثالثة: "النفس":

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [سورة الأنعام، الآية: ٥٤]. وقال عن عيسى أنه قال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

وقال النبي ﷺ : «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته». رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به، فيجب إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقوله سبحانه:{وَجَاء رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢].

وقوله سبحانه:{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ} [البقرة: ٢١٠].

الشرح

الصفة الرابعة : "المجيء" :

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب، والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّك} [سورة الفجر، الآية: ٢٢]. و {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} [سورة البقرة، الآية: ٢١٠].

وقال النبي ﷺ : «حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين». متفق عليه. في حديث طويل.

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله سبحانه:{رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [المائدة ١١٩].

الشرح

الصفة الخامسة : "الرضى" :

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [سورة البينة، الآية: ٨].

وقال النبي ﷺ : «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم.

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى، وقد فسره أهل التعطيل بالثواب. نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله سبحانه:{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة ٥٤].

الشرح

الصفة السادسة: "المحبة":

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [سورة المائدة، الآية: ٥٤].

وقال النبي ﷺ يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يحب، ويحب، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى، وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب، والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله سبحانه:{وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الفتح ٦].

الشرح

الصفة السابعة: "الغضب":

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً: {وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} [سورة النساء، الآية: ٩٣].

وقال النبي ﷺ : «إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي». متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو غضب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: {فَلَمَّا آسَفُونَا**} أي أغضبونا {**انْتَقَمْنَا مِنْهُم**} [**سورة الزخرف، الآية: ٥٥**]. فجعل الانتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره.**

وقوله سبحانه:{اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ**} [محمد ٢٨].**

الشرح

الصفة الثامنة: "السخط":

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّه**} [سورة محمد، الآية: ٢٨].**

وكان من دعاء النبي ﷺ : «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك**». الحديث رواه مسلم.**

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو سخط حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالانتقام. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

وقوله سبحانه:{كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ**} [التوبة ٤٦].**

الصفة التاسعة: "الكراهة":

الكراهة من الله لمن يستحقها ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} [سورة الأنفال، الآية: ٤٦].

وقال النبي ﷺ : «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال». رواه البخاري.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي كراهة حقيقية من الله تليق به، وفسر أهل التعطيل الكراهة بالإبعاد. نرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

ذكر بعض أحاديث الصفات

١٣ - ومن السنة: قوله ﷺ : «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا».

الشرح

الصفة العاشرة: "النزول":

نزول الله إلى السماء الدنيا من صفاته الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي ﷺ : «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له... » الحديث متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو نزول حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بنزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع: أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له... إلخ.

وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة».

الشرح

الصفة الحادية عشرة: "العجب":

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} [سورة الصافات، الآية: ١٢]. **على قراءة ضم التاء.**

وقال النبي ﷺ : «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»[(١)] **رواه أحمد وهو في "المسند" (١٥١/٤) عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة.**

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو عجب حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

والعجب نوعان:

---

(١) ضعيف. رواه أحمد (١٥١/٤) وأبو يعلى في "المسند" (١٧٤٩/٢٨٨/٣) وابن عدي في "الكامل" (١٤٧/٤) وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف. والصبوة: ميل إلى الهوى، وذلك أن طبيعة الشاب تدفعه لتحقيق شهوات النفس ورغباتها. فإذا امتنع من ذلك بقوة العزيمة في البعد عن الشر خوفاً من الله وطمعاً بما عنده ـ وهم قليل ـ كان مدعاة للعجب، مستحقاً لإجزال الأجر.

أحدهما: أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.

وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة».

الشرح

الصفة الثانية عشرة: "الضحك"

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

قال النبي ﷺ : «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة». **وتمام الحديث:** «يقاتل فى سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد». **متفق عليه.**

وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى، وفسره أهل التعطيل بالثواب.

ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

١٤- فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وَعُدِّلَت رواته نؤمن به ولا نرده، ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحْدَثين، ونعلم أن الله سبحانه لا شبيه له ولا نظير{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى ١١] ، **وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال، فإن الله تعالى بخلافه.**

١٥- ومن ذلك: قوله تعالى:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} **[طه ٥].**

الشرح

الصفة الثالثة عشرة: "الاستواء على العرش"

استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [سورة طه، الآية: ٥]. وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن.

وقال النبي ﷺ : «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي» رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود في "سننه": «إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة إلى أن قال في العرش: بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك» وأخرجه أيضاً الترمذي، وابن ماجه[1]، وفيه علة أجاب

---

(١) ضعيف. رواه أحمد (٢٠٦/١، ٢٠٧) وأبو داود (٤٧٢٣) والترمذى (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وابن خزيمة فى "التوحيد" (٢٣٤/١، ٢٣٥) والدرامى فى "الرد على الجهمية رقم (٢٣٣) وفى الرد على المريسى (ص ٩٠ - ٩١) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٥٧٧/٢٥٣/١) والآجرى فى "الشريعة" (ص ٢٩٢) وابن أبى شيبة فى كتاب العرش رقم (٩) وابن منده فى "التوحيد" رقم (٢١) والحاكم (٥٠٠/٢ - ٥٠١) واللاكائى فى "شرح أصول الاعتقاد" (٦٥٠، ٦٥١) والعقيلى فى "الضعفاء" (٢٨٤/٢) وابن الجوزى فى "العلل المتناهية" (١/ ٩، ١٠) وأبو نعيم فى "أخبار أصبهان" (٢/٢) وأبو الشيخ فى "العظمة" (٥٦٦/٢ - ٥٦٩، ١٠٥٠/٣) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٨٤٧، ٨٨٢) من طرق عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مرفوعاً. وقال الترمذى: حسن غريب. قلت: هذا التحسين فيه تساهل من الإمام الترمذى رحمه الله. وأبعد منه قول الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
فالحديث فى سنده عبد الله بن عميرة، قال الذهبى فى "الميزان" (٤٦٩/٢): فيه جهاله. قال البخارى: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس. وفى الحديث علة أخرى وهى أن سماك بن حرب لا يحتج بما ينفرد به. والحديث رواه أحمد (٢٠٧/١) والحاكم (٣٧٨/٢) وابن أبى شيبة فى "كتاب العرش" رقم (١٠) وابن الجوزى من طريق يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن عباس. ولم يذكر الأحنف. ويحيى بن العلاء هذا كذاب وضاع، وقال الذهبى فى "العلو" (ص ٥٠): "تفرد به سماك عن عبد الله، وعبد الله فيه جهالة ويحيى بن العلاء متروك الحديث".

عنها ابن القيم رحمه الله في تهذيب سنن أبي داود (ص٩٢ - ٩٣ ج٧).

وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو استواء حقيقي، معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.

وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ونزيد وجهاً رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى. ووجهاً خامساً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد.

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وبأنه كريم، وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش؛ لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره»[1]. رواه الحاكم في مستدركه. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقوله تعالى:{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} [الملك ١٦].

وقول النبي ﷺ : «ربنا الله الذي فى السماء تقدس اسمك».

وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنه» رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة.

---

(١) صحيح موقوفاً. أخرجه محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب "العرش" (٦١) وعبد الله بن أحمد فى "السنة" (٤٠٧) والدارمى فى "الرد على المريسى" (ص ٧١، ٧٤) وابن خزيمة فى "التوحيد" (ص ١٠٧، ١٠٨) والطبرى فى تفسيره (٥٧٩٢) والطبرانى فى الكبير (١٢٢٠٤) والدارقطنى فى كتاب "الصفات" (٣٦، ٣٧) والحاكم فى المستدرك (٢٨٢/٢). قلت: وقد روى هذا الحديث مرفوعاً إلى النبى ﷺ ولا يصح.

١٦- وقال النبي ﷺ لحصين: «كم إلها تعبد»؟ قال سبعة: ستة في الأرض وواحدا في السماء، قال: «فاترك الستة واعبد الذي فى السماء، وأنا أعلمك دعوتين» فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي».

١٧- وفيما نقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة: "أنهم يسجدون بالأرض، ويزعمون أن إلههم في السماء".

١٨- وروى أبو داود في " سننه " أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا - وذكر الخبر إلى قوله -: وفوق ذلك العرش والله سبحانه فوق ذلك».

١٩- فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرض لرده ولا تأويله ولاتشبيهه ولا تمثيله.

الشرح

الصفة الرابعة عشرة: "العلو":

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

وكان النبي ﷺ يقول في صلاته في السجود: «سبحان ربي الأعلى». رواه مسلم من حديث حذيفة.

وأجمع السلف على إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

وينقسم إلى قسمين:

علو صفة بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق: قوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [سورة الملك، الآية: ١٦].

وقول النبي ﷺ : «ربنا الله الذي فى السماء تقدس اسمك... »[١]. الحديث رواه أبو داود وفيه زياد بن محمد، قال البخاري: منكر الحديث.

وقوله ﷺ للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم.

وقوله ﷺ لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: «اترك الستة، واعبد الذي فى السماء» هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي ﷺ لحصين حين قال: «ستة فى الأرض وواحداً فى السماء» [٢].

وأجمع السلف على ثبوت الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه، وسلطانه، ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة: وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض. أيضاً وبوجه خامس: وهو دلالة العقل

---

(١) ضعيف. رواه أبو داود (٣٨٩٢) والنسائى فى "عمل اليوم والليلة" (١٠٣٧) والحاكم (٣٤٤/١، ٢١٨/٤، ٢١٩) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٨٩٢/٣٢٧/٢) والدارمى فى "الرد على المريسى" (ص ١٠٤) واللاكائى "شرح أصول الاعتقاد" (٣٨٨/٣، ٣٨٩) وابن حبان فى "المجروحين" (١٠٨/١) وابن عدى فى "الكامل" (١٠٥٤/٣) وابن قدامة فى "العلو" (١٨) وفى سنده زياد بن محمد الأنصارى وهو ضعيف جداً. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك أهـ. والحديث رواه أحمد (٢٠/٦ - ٢١) عن أبى اليمان عن أبى بكر بن أبى مريم عن الأشياخ عن فضالة بن عبيد، وهذا إسناد وضعيف أيضاً أبو بكر بن أبى مريم ضعيف مختلط وأشياخه مجهولون، والله أعلم.

(٢) ضعيف. رواه ابن قدامة فى "العلو" (١٩) والذهبى فى "العلو للعلى الغفار" (ص ٢٣، ٢٤) وابن خزيمة فى "التوحيد" (ص ١٢٠ - ١٢١) وفى سنده عمران بن خالد بن طليق قال فيه الدارقطنى "ليس بالقوى" كما فى "لسان الميزان" (٣٧٩/٢).

عليه؛ لأنه صفة كمال. وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه؛ لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

معنى كون الله في السماء

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء، فـ "في" بمعنى "على"، وليست للظرفية؛ لأن السماء لا تحيط بالله، أو إنه في العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية.

تنبيه: ذكر المؤلف رحمه الله أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي ﷺ وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء وهذا النقل غير صحيح؛ لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة، وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.

٢٠- سئل مالك بن أنس - رحمه الله - فقيل يا أبا عبد الله{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه ٥].

كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج.

الشرح

جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك:

وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره، وكان جد مالك من كبار التابعين وأبو جده من الصحابة. ولد مالك سنة ٩٣هـ بالمدينة ومات فيها سنة ١٧٩هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}. كيف استوى؟ فقال رحمه الله: (الاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى، وهو العلو والاستقرار. (والكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته. (والإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة. (والسؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة)؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم.

فصل

كلام الله تعالى

٢١ - ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم، يُسْمِعُهُ منه من شاء من خلقه. سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته.

٢٢- وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه.

قال الله تعالى:{وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤].

وقال سبحانه:{يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي} [الأعراف: ١٤٤].

وقال سبحانه:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ} [الشورى: ٥١].

وقال سبحانه:{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [طه: ١١ - ١٢].

وقال سبحانه:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: ١٤].

٢٣- وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء، وروي ذلك عن النبي ﷺ.

٢٤- وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الخلائق يوم القيامة حفاة عراة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان» رواه الأئمة، واستشهد به البخاري.

٢٥- وفي بعض الآثار: "أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها، ناداه ربه: يا موسى ! فأجاب سريعا استئناساً بالصوت، فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك، وعن يمينك، وعن شمالك فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى. قال: فكذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال بل كلامي يا موسى".

الشرح

الصفة الخامسة عشرة: "الكلام":

الكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} [سورة النساء، الآية: ١٦٤]. {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّه} [سورة البقرة، الآية: ٢٥٣].

وقال النبي ﷺ : «إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي». أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم[1] .

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

---

(١) إسناده ضعيف. رواه ابن خزيمة فى "التوحيد" (٣٤٨/١، ٣٤٩) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٥١٥/٢٢٧/١) ومحمد بن نصر فى "تعظيم قدر الصلاة" (٢٣٦/١) وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٩١/٢٢) والآجرى فى "الشريعة" (ص ٢٩٤) وأبو زرعة الدمشقى فى تاريخه (٦٢١/١) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٤٣٥/٥١١/١) وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٥٥٤/٣) وأبو الشيخ فى "العظمة" (٥٠١/٢) والبغوى فى تفسيره (٢٩٠/٥) عن النواس بن سمعان رضى الله عنه وفى سنده نعيم بن حماد المروزى وهو ضعيف. والوليد بن مسلم مدلس وقد عنعنه.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته، قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه تعلق بمشيئته تعالى.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله، وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه، وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

٣- أن موسى سمع الله يقول: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي} [سورة طه، الآية: ١٤]. ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

١- أنه خلاف إجماع السلف.

٢- أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت

ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣- أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

والدليل على أنه حروف، قوله تعالى: {يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} [سورة طه، الآيتان: ١١، ١٢]. فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

والدليل على أنه بصوت، قوله تعالى:{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً} [سورة مريم، الآية: ٥٢] والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت. وروي عن عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»[(١)] . علقه البخاري بصيغة التمريض[(٢)]، قال في "الفتح": وأخرجه المصنف في "الأدب المفرد" وأحمد، وأبو يعلي في "مسنديهما" وذكر له طريقين آخرين.

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد. ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه - أي الكلام المعين المخصوص - حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

---

(١) حسن. رواه البخارى فى "الأدب المفرد" (٩٧٠) وفى "خلق أفعال العباد" (٤٦٣) وأحمد (٤٩٥/٣) والحاكم (٤٣٧/٢ - ٤٣٨) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (١٣١/١٩٦/١) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٥١٤).

(٢) علقه البخارى في كتاب العلم من صحيحه (١٧٣/١) بصيغة الجزم. وفى كتاب التوحيد (٤٥٣/١٣) بصيغة التمريض، وذكر له الحافظ فى "الفتح" (١٧٤/١) وفى "تغليق التعليق" (٣٥٦/٥) طريقين آخرين عن جابر يرتقى بهما إلى درجة الحجية والله أعلم.

تعليق على كلام المؤلف فى فصل الكلام

قوله: (متكلم بكلام قديم) يعني قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.

قوله: (سمعه موسى من غير واسطة) لقوله تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} [سورة طه، الآية: ١٣].

قوله: (وسمعه جبريل) لقوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} [سورة النحل، الآية: ١٠٢].

قوله: (ومن أذن له من ملائكته ورسله) أما الملائكة فلقوله ﷺ : «ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} [سورة سبأ، الآية: ٢٣] فيخبرونهم». الحديث رواه مسلم. وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً ﷺ ليلة المعراج.

قوله: (وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه) لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك». الحديث متفق عليه.

قوله: (ويأذن لهم فيزورونه) لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم... » الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال: غريب وضعفه الألباني.

وقوله: (وقال ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء» وروي ذلك عن النبي ﷺ)[١] أثر ابن مسعود لم أجده بهذا اللفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في

---

(١) صحيح مرفوع وموقوف. أما الموقوف فقد رواه ابن خزيمة فى "التوحيد" (ص ١٤٦، ١٤٧) والطبرى فى تفسيره (٩٠/٢٢) وعبد الله بن أحمد فى "السنة" (٥٣٧) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٤٣٢/٥٠٦/١) وهذا الأثر مرفوع حكماً لأنه لا يقال من قبل الرأى.

كتاب التوحيد بألفاظ منها: «سمع أهل السماوات للسموات صلصلة"، **وأما المروي عن النبي ﷺ، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً** «إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا.. »[(١)] **الحديث رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم.**

فصل

القرآن كلام الله

٢٦ - ومن كلام الله تعالى: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنـزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

٢٧- وهو سور محكمات وآيات بينات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالأذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونـهي.

{لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢].

{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨].

وأما المرفوع. فقد رواه أبو داود (٤٧٣٨) وابن خزيمة فى "التوحيد" (ص ٩٥ - ٩٦) والآجرى فى "الشريعة" (ص ٢٩٤) والبيهقى فى "الأسماء والصفات" (٤٣٣/٥١٠/١) وعلقه البخارى كما فى "الفتح" (٤٥٦/١٣).

(١) سبق تخريجه، وهو ضعيف.

الشرح

"القول في القرآن":

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ} [سورة التوبة، الآية: ٦]. **يعني القرآن.**

ودليل أنه منزل قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [سورة الفرقان، الآية: ١].

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]. **فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى:** {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا} [سورة الشورى، الآية: ٥٢]، {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُم} [سورة الطلاق، الآية: ٥]. **ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة.**

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان(١).

٢٨- وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه{الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ} [سبأ: ٣١].

وقال بعضهم:{إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر: ٢٥]. **فقال الله:**{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر: ٢٦].

وقال بعضهم: هو شعر. فقال الله:{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} [يس: ٦٩].

---

(١) وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وهو قوله ﷺ: ((يدرس الإسلام كما يدرس وشئ الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وكيسرى على كتاب الله عز وجل فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية، وتبغى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: "لا إله إلا الله فنحن نقولها" رواه ابن ماجة (٤٠٩٤) والحاكم (٤/٤٧٣) وصححه الألبانى فى "الصحيحة (٨٧).

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا، لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو حروف، وكلمات، وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر.

٢٩- وقال الله تعالى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**}** [البقرة: ٢٣].

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل. وقال الله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي**}** [يونس: ١٥].

فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلي عليهم.

٣١- وقال تعالى:{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ**}** [العنكبوت: ٤٩].

وقال{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ**}** [الواقعة: ٧٧ - ٧٨]. **بعد أن أقسم على ذلك.**

٣٢- وقال{كهيعص**}** [مريم: ١].**{**حم * عسق**}** [الشورى: ١ - ٢].

وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

٣٣- وقال النبي ﷺ : «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح[١].

٣٤- وقال عليه الصلاة والسلام -: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»[٢].

---

(١) هذا الحديث رواه الطبرانى فى "الأوسط" (٧٥٧٤/٣٠٧/٧) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ ((أعربوا القرآن، فإنه من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات وإسناده ضعيف جداً فيه: نهشل بن سهل بن سعيد الترمذى وهو متروك وكذبه إسحاق بن راهويه.

(٢) صحيح بطرقه. رواه أحمد (٣٩٧/٣٥٧/٣) وأبو داود (٨٣٠) عن جابر رضى الله عنه. ورواه

٣٥- وقال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٣٦- وقال علي رضى الله عنه: "من كفر بحرف منه فقد كفر به كله".

٣٧- واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

٣٨- ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه انه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

الشرح

القرآن حروف وكلمات:

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف رحمه الله لذلك أدلة ثمانية:

١- أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

٢- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدي غير مقبول، إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

٣- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ**} [سورة يونس، الآية: ١٥]. ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.**

أحمد (١٥٥/١٤٦/٣) عن أنس بن مالك رضى الله عنه. ورواه أحمد (٣٣٨٥) وأبو داود (٨٣١) والطبرانى فى "الكبير" (٦٠٢٤/٦٠٢٢/٦٠٢١) وابن المبارك فى "الزهد" (٨٣١) وابن حبان (٧٦٠ - إحسان) عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه.
وقوله ﷺ : يتعجلون أجره أى،: يطلبون بقراءته العاجلة من عرض الدينا والرفعة فيها.
وقوله: ولا يتأجلونه، أى: لا يريدون به الآجلة، وهو جزاء الآخرة، وهذا الحديث من معجزاته ﷺ لوقوع ما أخبر به، فأكثر قراء زماننا إنما يجيدون التلاوة وحسن الأداء، يلتمسون به المال والرفعة، والله المستعان.

٤- أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللوح المحفوظ {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [سورة العنكبوت، الآية: ٤٩]. {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ} [سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ - ٧٩]. **ولا يحفظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.**

٥- قول النبي ﷺ : «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة». صححه المؤلف ولم يعزه ولم أجد من خرجه[١].

٦- قول أبي بكر وعمر: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

٧- قول علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

٨- إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن من جحد منه سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر.

وعدد سور القرآن (١١٤) منها (٢٩) افتتحت بالحروف المقطعة.

أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة ذكر المؤلف منها ما يلي:

١- أنه كتاب الله المبين، أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

٢- أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته.

٣- أنه سور محكمات، أي: مفصل السور، كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

---

(١) سبق تخريجه.

٤- أنه آيات بينات، أي علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

٥- أن فيه محكماً ومتشابهاً، فالمحكم: ما كان معناه واضحاً، والمتشابه: ما كان معناه خفياً. ولا يعارض هذا ما سبق برقم (٣) لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا رددنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع محكماً.

٦- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**}** [سورة فصلت، الآية: ٤٢]**.**

٧- أنه بريء مما وصفه به المكذبون به من قولهم: إنه شعر؛ {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**}** [سورة يس، الآية: ٦٩]، **وقول بعضهم: {**إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ**}** [سورة المدثر، الآيتان: ٢٤]. **{**إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ**}** [سورة المدثر، الآية: ٢٥]. **فقال الله متوعداً هذا القائل: {**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ**}** [سورة المدثر، الآية: ٢٦]**.**

٨- أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**}** [سورة الإسراء، الآية: ٨٨]**.**

فصل

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

٣٩ - والمؤمنون يرون الله تعالى في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه.

وقال الله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}** [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وقال:{كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**}** [المطففين: ١٥].

٤٠- فلمل حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق.

٤١- وقال النبي ﷺ : «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته» **حديث صحيح متفق عليه.**

٤٢- وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

الشرح

"رؤية الله في الآخرة" :

رؤية الله في الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: {لَنْ تَرَانِي**}** [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣].

ورؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**}** [سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]**. وقال: {**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**}** [سورة المطففين، الآية: ١٥]**. فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق.**

وقال النبي ﷺ : «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته» متفق عليه. وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل الآية الثانية.

يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى.

وهي رؤية حقيقية تليق بالله، وفسرها أهل التعطيل بأن المراد بها رؤية ثواب الله، أو أن المراد بها رؤية العلم واليقين. ونرد عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق في القاعدة الرابعة، وباعتبار التأويل الثاني بذلك وبوجه رابع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصل للفجار في الآخرة.

فصل

القضاء والقدر

٤٣ ـ ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد لا يكون شئ إلا بإرادته ولا يخرج شئ عن مشيئته، وليس في العالم شئ يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جمعيا لأطاعوه، خلق الخلائق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، وتضل من يشاء بحكمته.

قال الله تعالي:{لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣].

قال الله تعالي:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩].

وقال تعالي:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢].

وقال تعالي:{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**}** [الحديد: ٢٢].

وقال تعالي:{فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**}** [الأنعام: ١٢٥].

٤٤- وروى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : ما الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره» **فقال جبريل: صدقت رواه مسلم.**

٤٥- وقال النبي ﷺ : «آمنت بالقدر ؛ خيره وشره، وحلوه ومره»[(١)] **.**

٤٦- ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت»[(٢)] **.**

---

(١) إسناده ضعيف. رواه الحاكم فى "معرفة علوم الحديث" (ص ٣١، ٣٢) والعراقى فى شرحه لألفيته (ص ٣٢٧) وفى سنده يزيد الرقاش وهو ضعيف كما فى "التقريب" (٣٦١/٢).

(٢) صحيح. رواه أحمد (١٩٩/١/٢٠٠) وأبو داود (١٤٢٥) والترمذى (٤٦٤) والنسائى (٢٤٨/٣) وابن ماجة (١١٧٨) وابن حبان (٩٤٥) والطيالسى (١١٧٧/١١٧٩) عبد الرزاق فى "المصنف" (١١٨/٣) وابن أبى شيبة فى "المصنف" (١٣/٧) والدارمى (٤٥١/١ - ٤٥٢) وأبو يعلى (٦٧٦٢) وابن الجارود (٢٧٣) وابن نصر فى "صلاة الوتر" (١٩٠/مخصتر المقريزى) والطبرانى فى "الكبير" (٢٧٠١، ٢٧٠٢، ٢٧٠٣، ٢٧٠٤، ٢٧٠٥، ٢٧٠٦، ٢٧٠٧، ٢٧١٠، ٢٧١٢) وفى "الدعاء" (٧٤٤، ٧٤٧) وابن خزيمة (١٠٩٥) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٣٧٤) وأبو نعيم فى "الحلية" (٣٢١/٩) والحاكم (١٧٢/٣) والبيهقى فى "السنن" (٢٠٩/٢، ٤٩٨) والبغوى فى "شرح السنة" (٦٤٠).

الشرح

"القدر":

من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد كما قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [سورة هود، الآية: ١٠٧]**. فلا يخرج شيء عن إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السماوات والأرض، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسال عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون، لأنهم مربوبون محكومون.**

والإيمان بالقدر واجب، وهو أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره» **رواه مسلم وغيره، وقال النبي ﷺ :** «آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه، ومره»**. فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته. وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً.**

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته، فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات، والصحة، والغنى، ومنه ما يكون شراً كالمعاصي، والمرض، والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال: إنه شر لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي «وقني شر ما قضيت»**، فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.**

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق؛ لقوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [سورة الحج، الآية: ٧٠].

الثاني: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [سورة الحديد، الآية: ٢٢]. **أي تخلق الخليقة، ولقوله ﷺ :** «إنه الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» **رواه مسلم.**

الثالث: أنه لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبه في اللوح المحفوظ؛ لقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [سورة القمر، الآية: ٤٩]. {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} [سورة الأنعام، الآية: ١٢٥]. **فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته.**

الرابع: أن كل شيء في السماوات والأرض مخلوق لله تعالى، لا خالق غيره ولا رب سواه؛ لقوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} [سورة الفرقان، الآية: ٢]. **وقال على لسان إبراهيم:** {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [سورة الصافات، الآية: ٩٦].

٤٧- ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة علينا بإنزال الكتب، وبعثة الرسل.

قال الله تعالي: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥].

الشرح

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصي كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية، وذلك لأدلة كثيرة منها:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**}** [سورة غافر، الآية: ١٧]**. ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.**

٢- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**}** [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]**. {**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**}** [سورة التغابن، الآية: ١٦]**. ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل، أو الكف؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص.**

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول: هذا ما قدر لي؟!

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة:{لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**}** [سورة النساء، الآية: ١٦٥]**. ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.**

٤٨- ونعلم أن الله - سبحانه - ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدا على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة.

قال الله تعالى:{لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦].

وقال الله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦].

و قال تعالى:{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر: ١٧].

٤٩- فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يجازى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

الشرح

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل:

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازي عليه الحسن بأحسن، والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب، لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد، فلذلك نسب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً، فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:

المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:

الطائفة الأولى: الجبرية. يقولون: العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك.

ونرد عليهم بأمرين:

١- أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً.

٢- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختيار والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وأدعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة.

الطائفة الثانية:القدرية. يقولون:العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة،ولا قدرة،ولا خلق

ونرد عليهم بأمرين:

١- أنه مخالف لقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**} [سورة الزمر، الآية: ٦٢]. {**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**} [سورة الصافات، الآية: ٩٦].**

٢- أن الله مالك السماوات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟!

أقسام الإرادة والفرق بينهما:

إرادة الله تنقسم على قسمين كونية وشرعية:

فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً**} [سورة الأنعام، الآية: ١٢٥].**

والشرعية: هي التي بمعنى المحبة، كقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**} [سورة النساء، الآية: ٢٧].**

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه.

فصل

الإيمان قول وعمل

٥٠ - والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

٥١- قال الله تعالي:{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**}** [البينة: ٥]. **فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، كله من الدين.**

٥٢- وقال النبي ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

٥٣- فجعل القول والعمل من الإيمان. وقال الله تعالي:{فَزَادَهُمْ إِيمَاناً**}** [آل عمران: ١٧٣].**{**لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا**}** [الفتح: ٤].

٥٤- وقال رسول الله ﷺ : «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان». فجعله متفاضلا.

الشرح

الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق[1].

واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.

مثال القول: لا إله إلا الله.

ومثال العمل: الركوع.

ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [سورة البينة، الآية: ٥]. فجعل الإخلاص، والصلاة، والزكاة من الدين.

وقال النبي ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله» وأصله في الصحيحين.

---

(١) هذا التعريف للإيمان فى اللغة فيه نظر، فقد قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فى "شرح العقيدة الواسطية" (٢/٢٢٩): أما الإيمان فأكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان فى اللغة التصديق.
ولكن فى هذا نظر لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول: آمنته، بل نقول: آمنت به، أو: آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعدٍ ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطى معنى كلمة (آمنت) فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت) ولهذا لو فسر الإيمان بالإقرار لكان أجود فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فنقول: أقرَّ به كما تقول: آمن به وأقرَّ له كما تقول: آمن له، هذا فى اللغة أهـ.
قلت: وما قاله الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فى معنى الإيمان لغة مستفاد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب "الإيمان" فقد أبطل شيخ الإسلام دعوى أن الإيمان فى اللغة هو التصديق من ستة عشر وجهاً، فانظرها إن شئت.

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لقوله تعالى: {فَزَادَهُمْ إِيمَاناً**}** [سورة آل عمران، الآية: ١٧٣]. **{**لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِم**}** [سورة الفتح، الآية: ٤].

وقال النبي ﷺ : «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفى قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان» **رواه البخاري بنحوه. فجعله النبي ﷺ متفاضلاً، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه؛ لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد.**

فصل

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول

٥٥ - ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق، سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه. مثل: حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما، فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تكن تنكر المنامات.

٥٦- ومن ذلك: أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه تعالى فرد عليه عينه.

الشرح

السمعيات

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي ﷺ من أخبار فهي بحق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا، أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**}** [سورة البقرة، الآية: ١١٩]**. وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً:**

الأمر الأول: الإسراء والمعراج.

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً. وقيل بمعنى سرى.

وشرعاً: سير جبريل بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس؛ لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**}** [سورة الإسراء، الآية: ١]**.**

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله ﷺ. من الأرض إلى السماء لقوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**}** [سورة النجم، الآيتان: ١ - ٢]**. إلى قوله: {**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**}** [سورة النجم، الآية: ١٨]**. وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت؟ فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة رواه ابن أبي شيبة.**

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة. رواه البيهقي، فتكون في ربيع الأول، ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي. ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً. رواه الحاكم. فتكون في ذي القعدة.

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل: بخمس. وقيل: بست.

وكان يقظة لا مناماً، لأن قريشاً أكبرته وأنكرته، ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات.

وقصته: أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السماوات العلى سماء، سماء، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، وأطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون.

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: «أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت» فرد الله عليه عينه وقال: «ارجع إليه، وقل له يضع يد على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة» فقال موسى: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال النبي ﷺ : «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر». وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك. ونرد عليهم: بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو؟ يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه، ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثوره[1].

(١) قلت: وقد أنكر بعض المعاصرين هذا الحديث وطعنوا فيه، ومن هؤلاء الشيخ محمد الغزالى فى كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث".
فقد قال: إن طالباً سألنى أصحيح أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت عندما جاء لقبض روحه بعدما استوفى أجله، فقلت للطالب وأنا ضائق الصدر ماذا يفيدك هذا الحديث؟ إنه لا يتصل بعقيدة ولا يرتبط به عمل، ثم قال له: "اشتغل بما هو أجدى"، يقول: وعدت لنفسى أفكر - إن هذا الحديث صحيح السند لكن متنه يثير الريبة، يفيد أن موسى يكره الموت ولا يحب لقاء الله بعدما انتهى أجله، وهذا المعنى مرفوض بالنسبة للصالحين من عباد الله كما جاء فى الحديث الآخر: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" فكيف بأنبياء الله؟ وكيف بواحد من أولى العزم؟ إن كراهيته للموت بعدما جاء ملكه أمر مستغرب ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التى تعرض للبشر من

عمى أو عور ذلك بعيد، إلى أن يقول: "قال المازرى: قد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره" ثم ذكر أجوبة - نقلها الغزالى عنه - وبعد ذلك قال الغزالى: "هذا الدفاع كله خفيف الوزن وهو دفاع تافه لا يساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد، فهو يستطيل فى أعراض المسلمين والعلة فى المتن يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى".

وقد قام الشيخ سلمان العودة بالتعليق على هذا الكلام فقال:

١- حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى قصة مجيء ملك الموت إلى موسى. رواه البخارى ومسلم النسائى وأحمد فى مسنده وابن خزيمة وغيرهم، وقول المؤلف فى أول حديثه "ماذا يفيدك هذا الحديث" لهذا الطالب السائل أقول فوائد الحديث كثيرة: منها ابتلاء الإنسان بالإيمان بالغيب، فإن الله عز وجل جعل من أخص خصائص المؤمنين، أنهم يؤمنون بالغيب{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}، فهذا الحديث وغيره من الأحاديث التى ثبتت هى من الغيب الذى يبتلى المؤمنون بالإيمان به فضلاً - عن ربط المؤمن بالأجيال السابقة من خلال هذه التفصيلات النبوية، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كثيراً ما كان يذكر لبعض أصحابه بعض القضايا والقصص والتفاصيل والأحداث التى حدثت فى الأجيال والقرون السابقة حتى يربطهم بتلك الأجيال ويشعرهم بأن السابقة واللاحقة من أمة الإسلام أمة واحدة يدعوا لاحقها لسابقها ويدعوا سابقها للاحقها، وإلا فإنت تجد كثيراً من القصص التى ذكرها النبى ﷺ عن بنى إسرائيل فى الصحيحين وغيرهما، وقد يرد السؤال نفسه، ما الفائدة منها؟ فنقول: هذه الفائدة.

*** كذلك الكشف عن طبيعية الإنسان. خاصة فى بعض المواقف حتى يكون نبياً مصطفى مختاراً، فإنه لا يخرج عن إنسانيته وبشريته.**

*** هذا إضافة إلى بعض الفوائد الفقهية وهى كثيرة ذكرها أهل العلم، منها فضل الموت فى الأرض المقدسة؛ ولذلك جاء فى الحديث الصحيح: ((من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل)) وذلك لأن موسى قال فى آخر الحديث: ((رب أدننى من الأرض المقدسة رمية بحجر)) وقد يستفاد منها حماية الأنبياء لجانب التوحيد لما يدل عليه هذه الدعاء من حرص موسى على عدم اشتهار قبره ومعرفة بنى إسرائيل به لما يخشى من عبادتهم له، إلى غير ذلك من الفوائد الفقهية والعلمية.**

٢- قول المؤلف: "إنه مما يُستغرب أن موسى يكره الموت بعدما جاءه ملك الموت" أقول كون موسى وغيره يكره الموت، ليس أمراً مستغرباً فكراهية الموت جبلة فى كل إنسان، ولذلك لما ذكر رسول الله ﷺ فى حديث عائشة وأبى هريرة وهما فى الصحيح: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)) قال له الصحابة: يا رسول الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال النبى ﷺ : ((ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضر بشر برحمة الله ورضوانه وجنته فأحب لقاء الله وكره لقاءه)) والتابعون لما روى لهم أبو هريرة الكلام نفسه قالوا الإيراد نفس: فكلنا يكره الموت؟ إن كان كذلك فقد هلكنا! فمن طبيعة الإنسان أن يكره الموت مهما كان، ولا غرابة أن يكره موسى عليه الصلاة والسلام.

٣- أما العاهة التى ذكرها واستغرب أن توجد بالملك فإن العاهة ها هنا عاهة عارضة للصورة التى تصور بها الملك وليس للصورة الأصلية التى خُلق عليها، وقد نبت أن الملك يتصور للنبى وغيره بصور شتى، فلا مانع أن يعرض لهذه الصورة عارض، لأنها صورة بشرية وليست صورة الملك التى خلقه الله تعالى عليها، والملك على كل حال - عبد مخلوق من عدم وصائر إلى الموت، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

قوله: (وهو دفاع تافه لا يساغ) هذا غير جيد، لأن هذه أقوال علماء كبار يجب احترامهم ومعرفة فضلهم، حتى لو لم يقل الإنسان آراءهم، فالتأدب معهم واجب وكذلك قوله: (يبصرها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحى) يعنى العلة الموجودة فى الحديث: هل يصح وصف أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأحمد والنسائى وابن خزيمة وغيرهم بأنهم من أصحاب الفكر

٥٧ - ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال. ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله. وخروج يأجوج ومأجوج. وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل[١].

الشرح

الأمر الثالث: أشراط الساعة:

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة. والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه.. والمراد بها هنا: القيامة. فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم القيامة قال الله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [سورة محمد، الآية: ١٨]. وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

السطحى؟ وكذلك رجال الإسناد الذين رووه؟ والذين تكلموا على متنه مقرين له، هل يجوز وصفهم بأنهم من أصحاب الفكر السطحى؟.
ثم من يعنى بالمحققين؟ هلا ذكر لنا واحداً منهما؟ واحداً فقط ممن يصلح أن يسمى (محققاً)؟.
الأولى: أن نقول لمن لا يقبل هذا الحديث: إن هذا الحديث ثابت الإسناد وقد قبله أهل العلم وأولوه على تأويلات كثيرة، وحين يقول قائل: إننى لا أستطيع أن أؤمن بهذا الحديث ولا أقبله نقول له: قد آمن به وقَبِلَهُ من هو خير منك، وأغزر منك علماً وأوسع منك عقلاً، وأعلى منك شأناً، ولكن ليس ردك لهذا الحديث موجباً لوصفك بالكفر والضلال والإلحاد والزندقة وما قاله العلماء السابقون، كما قال المازرى وابن خزيمة: ((إن الملاحدة لا يؤمنون بهذا الحديث))، فليس مقصودهم: أن من لم يؤمن بهذا الحديث فهو ملحد، لا إنما مقصودهم حكاية الواقع الذى يعيشونه فى عصرهم أن الملاحدة يتمسكون بهذا الحديث وأمثاله للطعن بالسنة كلها وهذا موجود، ولا يعنى أن من لم يقل بهذا الحديث فهو ملحد إذ أن الحديث يحتاج إلى أن نقول: إنه متواتر أو إنه يفيد العلم اليقينى القطعى حتى نصف من أنكره بالإلحاد، إنما الأمر الذى كان يحسن ألا يقع هو وصف الدفاع بأنه دفاع تافه لا يساغ ووصف من يؤمنون بهذا الحديث أنهم من أصحاب الفكر السطحى أهـ "حوار هادئ مع محمد الغزالى" (ص٩٤ - ٩٦).
قلت: ويبقى إشكال أخير آثاره بعض الطاعنين فى الحديث وهو قولهم: إن الحديث يدل على أن موسى ما كان يعلم بأنه مائت لا محالة؛ ولهذا يقول: "ثم مه" كأنه لا يعلم أن الموت من بعد!!.
والجواب على هذا الإشكال: أن الاستفهام فى الكلام يكون لضروب كثيرة، وليس بلازم أن يقارنه الجهل والشك، فقد جاء الاستفهام فى القرآن كثيراً كقوله تعالة:{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان: ١]، وقوله:{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ} [المائدة: ١١٦]، وأمثال هذا: فهل الاستفهام هنا يقارنه الشك؟ كلا كذلك قول موسى: "ثم مه؟" لا يدل على أنه شاك فى مصيره الأخير.

(١) وقد تكلمت على هذه الأشراط بالتفصيل فى كتاب "علامات يوم القيامة الكبرى" ط مكتبة الإيمان بالمنصور".

١- (خروج الدجال) وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعاً: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية. وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع. قال النبي ﷺ : «قولوا اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» **رواه مسلم. وكان النبي ﷺ يتعوذ منه في الصلاة. متفق عليه.**

وأجمع المسلمون على خروجه.

وقصته أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب. ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح، إلا مكة والمدينة فمنع منهما، ومدته أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيامه كالعادة، وهو أعور العين مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته نار، وناره جنة. حذر منه النبي ﷺ، وقال: «من سمع به فلينأ عنه، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، أو بفواتح سورة الكهف»**.**

٢- (نزول عيسى ابن مريم): نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**}** [سورة النساء، الآية: ١٥٩]**. أي: موت عيسى، هذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك.**

وقال النبي ﷺ : «والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً وعدلاً»**. الحديث متفق عليه.**

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات،

ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في صحيح مسلم وبعضه في الصحيحين كليهما. وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون(١). وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي ﷺ(٢)، والله أعلم.

٣- (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان، أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب، أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب، والسنة.

قال الله تعالى قصة ذي القرنين: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً**}** [سورة الكهف، الآيتان: ٩٣، ٩٤]**. الآيات.**

وقال النبي ﷺ : «يقول الله يوم القيامة: يا آدم، قم فابعث بعث النار من ذريتك»، **إلى أن قال رسول الله ﷺ :** «أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً» **أخرجاه في الصحيحين.**

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٤٠٦/٢، ٤٣٧) وأبو داود (٤٣٢٤) وابن حبان (٦٨٢١ - إحسان) والحاكم (٥٩٥/٢) وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) هذا الحديث لا يصح عن النبى ﷺ، قال الحافظ فى "الفتح (٥٤/٧) روى عن عائشة فى حديث لا يثبت أنها استأذنت النبى ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه، فقال لها: وأنىّ لك بذلك؟ وليس فى الموضع إلا قبرى وقبر أبى بكر وعمر وعيسى بن مريم.
وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه: يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعاً. رواه البخارى فى "التاريخ الكبير" (٢٦٣/١)، وقال الحافظ فى "الفتح" هذا لا يصح عندى. قلت: وقد جاء هذا الخبر أيضاً عن سعيد بن المسيب - رحمه الله - من وجه ضعيف كما قال الحافظ فى "الفتح" (٥٤/٧).

وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي ﷺ فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها».

وقد ثبت خروجهم في الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَق**}** [سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦، ٩٧]. **وقال النبي ﷺ :** «إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات». **فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفات خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. رواه مسلم، وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال في عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال:** «فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحمهم فتطرحهم حيث شاء الله». **رواه مسلم.**

٤- (خروج الدابة). الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة.. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ**}** [سورة النمل، الآية: ٨٢].

وقال النبي ﷺ : «إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**» وذكر منها الدابة. رواه مسلم.**

وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر. وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك. والله أعلم.

٥- (طلوع الشمس من مغربها) طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**}** [سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]. **والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.**

وقال النبي ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً**» متفق عليه.**

٥٨- وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في كل صلاة.

٥٩- وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام الصور{فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**}** [يس: ٥١].

الشرح

فتنة القبر:

الفتنة لغة: الاختبار. وفتنة القبر: سؤال الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [سورة إبراهيم، الآية: ٢٧]. **وقال النبي ﷺ :** «المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} [سورة إبراهيم، الآية: ٢٧] » **متفق عليه.**

والسائل ملكان، لقول النبي ﷺ : «إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه». **رواه مسلم. واسمهما منكر ونكير كما رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً[1] وقال حسن غريب. قال الألباني: وسنده حسن وهو على شرط مسلم، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح، وفي غير المكلفين خلاف، وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال. ويستثنى من ذلك الشهيد؛ لحديث رواه النسائي، ومن مات مرابطاً في سبيل الله لحديث رواه مسلم.**

---

(١) حسن. رواه الترمذى فى "الجنائز" (١٠٧١) باب ما جاء فى عذاب القبر، وابن حبان (٣١١٧ - إحسان) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٨٦٤) والبيهقى فى "إثبات عذاب القبر" (٥٦) والآجرى فى "الشريعة" (٩١٣/١٨٧/٢).

عذاب القبر أو نعيمه :

عذاب القبر أو نعيمه ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة، وإجماع أهل السنة.
قال الله تعالى في سورة "الواقعة": {فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ} [سورة الواقعة، الآيتان: ٨٣، ٨٤]، إلى قوله: {تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [سورة الواقعة، الآيات: ٨٧ - ٨٩]. إلخ السورة.. وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك. وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر، قال في المؤمن: «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، والبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من ريحها، وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره». وقال في الكافر: «فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه». الحديث رواه أحمد وأبو داود[(١)].

وقد اتفق السلف وأهل السنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح).

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على ذلك.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر المحسوس في الدنيا.

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٥٩، ٢٩٦) وأبو داود فى "السنة" (٤٧٥٣) باب فى المسألة فى عذاب القبر. والحاكم (٣٧/١ - ٤٠) والبيهقى فى "عذاب القبر" (٢٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيميه: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

النفخ في الصور:

النفخ معروف. والصور لغة: القرن.

وشرعاً: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش، وهما نفختان:

إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.

الثانية: نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.

وقد دل على النفخ في الصور الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**}** [سورة الزمر، الآية: ٦٨]. **{**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**}** [سورة يس، الآية: ٥١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون». رواه مسلم في حديث طويل. وقد اتفقت الأمة على ثبوته.

٦٠- ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيقفون في مواقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ويحاسبهم الله تبارك وتعالى، وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحف الأعمال إلى الأيمان والشمائل:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا**} [الانشقاق: ٧ - ١٢].**

الشرح

البعث والحشر

البعث لغة: الإرسال، والنشر.

وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة.

والحشر لغة: الجمع.

وشرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ**} [سورة التغابن، الآية: ٧]. وقال تعالى: {**قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**} [سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩، ٥٠].**

وقال النبي ﷺ : «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد» متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

ويحشر الناس حفاة لا نعال عليهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم؛ لقوله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**} [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]. وقول النبي ﷺ : «إنكم تحشرون حفاة، عراة، غرلاً ثم قرأ: {**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**} [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤] وأول من يكسى إبراهيم». متفق عليه.**

وفي حديث عبد الله بن أنيس المرفوع الذي رواه أحمد: «يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلاً، بهماً». قلنا: وما بهماً؟ قال: «ليس معهم شيء» الحديث[١].

الشرح

(الحساب)

الحساب لغة: العدد.

وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥، ٢٦]. وكان النبي ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً». فقالت عائشة: ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر فى كتابه فيتجاوز عنه» رواه أحمد. وقال الألباني إسناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفه الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك. قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته.

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. متفق عليه من حديث ابن عمر.

والحساب عام لجميع الناس إلا من استثناهم النبي ﷺ، وهم سبعون ألفاً من هذه الأمة منهم عكاشة بن محصن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. متفق عليه.

---

(١) حديث حسن وقد سبق تخريجه.

وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً، قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد.

وأول من يحاسب هذه الأمة؛ لقول النبي ﷺ : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق» **متفق عليه، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً:** «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب». **الحديث.**

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة؛ لقول النبي ﷺ : «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[(١)] **رواه الطبراني في "الأوسط" وسنده لا بأس به إن شاء الله، قاله المنذري في "الترغيب والترهيب" (ص٢٤٦ ج١). وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي ﷺ :** «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء» **متفق عليه.**

٦١- والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال: قال الله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**} [سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣].**

---

(١) حسن لغيره رواه الطبرانى فى "الأوسط" (١٨٥٩) ومن طريقه الضياء فى "المختارة" (٢/٢٠٩) كما فى "الصحيحة" (٣٤٤/٣) عن أنس رضى الله عنه، وفى سنده القاسم بن عثمان البصرى وهو ضعيف، ولكن يشهد له حديث أنس أيضاً الآخر رواه الطبرانى فى "الأوسط" (٣٧٨٢).
وحديث أبى هريرة عند الترمذى (٤١٣) والنسائى (٢٣٢/١) وابن نصر فى "تعظيم قدر الصلاة" (٢١٣) وشاهد آخر عن أبى سعيد الخدرى أخرجه السلفى فى "الطيوريات" (ق ١/٨٦) كما فى "الصحيحية" (٣٤٦/٣).

(المـوازين)

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً.

وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]، {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧].

وقال النبي ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» متفق عليه.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

وهو ميزان حقيقي، له كفتان، لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة قال: «فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة». الحديث رواه الترمذي وابن ماجه. قال الألباني: إسناده صحيح.

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقال بعضهم: متعدد بحسب الأمم، أو الأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث منفرداً، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل. والله أعلم.

والذي يوزن العمل، لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: العمل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ : «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». **وقال: اقرأوا: {**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**}** [سورة الكهف، الآية: ١٠٥]. **متفق عليه.**

وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.

(نشر الدواوين)

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء.

وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم.

وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً**}** [سورة الانشقاق، الآيات: ٧ - ١٢]. **{**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**}** [سورة الحاقة، الآية: ٢٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ : «هل تذكرون أهليكم؟ قال: أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه، أم فى شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجاوز»[١]. رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[٢].

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

(صفة أخذ الكتاب)

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول: {هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ} [سورة الحاقة، الآية: ١٩].

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} [سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥، ٢٦].

٦٢- ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

---

(١) ضعيف. رواه أبو داود فى "السنة" (٤٧٥٥) باب فى ذكر الميزان: والحاكم (٥٧٨/٤) والآجرى فى "الشريعة" (٣٨٥) وفى سنده انقطاع بين الحسن البصرى وعائشة رضى الله عنها.

(٢) تتمة كلام الحاكم قال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبى منزل عائشة رضى الله عنهما وأم سلمة أهـ. والحديث رمز له الذهبى بـ (خ م) يعنى البخارى ومسلم ثم قال: لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة.

الشرح

(الحوض)

الحوض لغة: الجمع. يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعاً: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

قال النبي ﷺ : «إني فرطكم على الحوض». متفق عليه.

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض.

ونرد عليهم بأمرين:

١- الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ.

٢- إجماع أهل السنة على ذلك.

صفة الحوض:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما.

وهو موجود الآن لقوله ﷺ : «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن» رواه البخاري.

واستمداده من الكوثر؛ لقوله ﷺ : «وأعطاني الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوض». رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن.

لكل نبي حوض، ولكن حوض نبي ﷺ أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة؛ لقول النبي ﷺ : «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»[(١)]**. رواه الترمذي وقال غريب، وروى ذلك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وفيه ضعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.**

٦٣- والصراط حق يجوزه الأبرار، وَيَزِلُّ عنه الفجار.

الشرح

(الصراط)

الصراط لغة: الطريق.

وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة وقول السلف.

قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**}** [سورة مريم، الآية: ٧١]**. فسرها عبد الله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط.**

وفسرها جماعة، منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

وقال النبي ﷺ : «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم» **متفق عليه.**

واتفق أهل السنة على إثباته.

---

(١) حسن لغيره. رواه الترمذى فى "صفة القيامة" (٢٤٣٤) باب ما جاء فى صفة الحوض. والبخارى فى "التاريخ الكبير" (٤٤/١/١) وابن أبى عاصم كما فى "نهاية ابن كثير" (٣٥١/١) والطبرانى فى "الكبير" (٦٨٨١/٢١٢/٧) وفى سنده سعيد بن بشير الأزدى وهو ضعيف. والحسن البصرى مدلس وقد عنعنه. ولكن للحديث شواهد تقويه، وانظر "الصحيحة" (١١٧/٤) حديث رقم (١٥٨٩).

صفة الصراط:

سئل النبي ﷺ عن الصراط فقال: «مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان» **رواه البخاري. وله من حديث أبي هريرة:** «وبه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم». **وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.**

العبور على الصراط وكيفيته:

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه: «فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم» **متفق عليه. وفي صحيح مسلم:** «ترجي بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً». **وفي صحيح البخاري:** «حتى يمر آخرهم يسحب سحباً».

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ، ومن الأمم أمته؛ لقول النبي ﷺ: «فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم» **رواه البخاري.**

٦٤- ويشفع نبينا ﷺ فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا وصاروا فحما وحمما، فيدخلون الجنة بشفاعته.

٦٥- ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى:{وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨].

٦٦- ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

الشرح

(الشفاعة)

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً.

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي ﷺ، وعامة له ولغيره.

فالخاصة به ﷺ شفاعته العظمى في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون إلا النبي ﷺ، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده.

وقد ذكرت هذه الصفة في حديث الصور المشهور لكن سنده ضعيف متكلم فيه وحذفت من الأحاديث الصحيحة فاقتصر منها على ذكر الشفاعة في أهل الكبائر.

قال ابن كثير وشارح الطحاوية: وكان مقصود السلف من الاقتصار على الشفاعة في أهل الكبائر هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

وهذه الشفاعة لا ينكرها المعتزلة والخوارج، ويشترط فيها إذن الله؛ لقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**}** [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]**.**

النوع الثاني العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحميماً؛ لحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال - بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة» الحديث رواه أحمد.

قال ابن كثير في النهاية (ص٢٠٤ ج٢): وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجها من هذا الوجه.

وهذه الشفاعة تكون للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين؛ لحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ، وفيه: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً» **متفق عليه.**

وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ونرد عليهم بما يأتي:

١- أن ذلك مخالف للمتواتر من الأحاديث عن النبي ﷺ.

٢- أنه مخالف لإجماع السلف.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨]. **فأما الكافر فلا شفاعة له؛ لقوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}** [سورة المدثر، الآية: ٤٨]. **أي لو فرض أن أحداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة.**

وأما شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النار عذاباً، قال النبي ﷺ : «ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار» **رواه مسلم. فهذا خاص بالنبي ﷺ وبعمه أبي طالب فقط، وذلك والله أعلم لما قام به من نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه، وعما جاء به.**

٦٧- والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة دار أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: ٧٤].

الشرح

الجنة والنار

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى في الجنة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]. **وفي النار:** {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين} [سورة البقرة، الآية: ٢٤]. **والإعداد: التهيئة. ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف:** «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع» **متفق عليه.**

والجنة والنار لا تفنيان لقوله: {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [سورة البينة، الآية: ٨]. {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [سورة النساء، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]. **وفي الأحزاب:**{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥]. **وفي الجن:**{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [سورة الجن، الآية: ٢٣]. **وقال الله تعالى:** {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥].

مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين لقوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [سورة المطففين، الآية: ١٨] **وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر:** «فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض».

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [سورة المطففين، الآية: ٧]. **وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق:** «فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى».

أهل الجنة وأهل النار:

أهل الجنة كل مؤمن تقي لأنهم أولياء الله، قال الله تعالى في الجنة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]. {أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [سورة الحديد، الآية: ٢١].

وأهل النار كل كافر شقي، قال الله تعالى في النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [سورة البقرة، الآية: ٢٤]. {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ} [سورة هود، الآية: ١٠٦].

٦٨- ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: "يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت".

الشرح

ذبح الموت:

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنار؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت». ثم قرأ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} [سورة مريم، الآية: ٣٩]. أخرجه البخاري في تفسير هذه الآية، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً.

* * * * * * * * * * *

٦٩ - ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته.

٧٠- صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين، وخطيبه، وصاحب شفاعتهم. أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

الشرح

في حقوق النبي ﷺ وأصحابه

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون. وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} [سورة النساء، الآية: ٦٩].

وأفضل الرسل أولوا العزم منهم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في "الأحزاب": {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَم} [سورة الأحزاب، الآية: ٧]. وفي "الشورى": {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [سورة الشورى، الآية: ١٣].

وأفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ : «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه، وصلاته خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل، ثم موسى؛ لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.

خصائص النبي ﷺ

اختص النبي ﷺ بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

١- خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**}** [سورة الأحزاب، الآية: ٤٠]**.**

٢- سيد المرسلين وسبق دليله.

٣- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته؛ لقوله تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**}** [سورة النساء، الآية: ٦٥]**. وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.**

٤- لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته، وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

٥- سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله ﷺ : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». وسبق.

٦- صاحب لواء الحمد، يحمله ﷺ يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» رواه الترمذي، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم.

٧- صاحب المقام المحمود، أي: العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق؛ لقوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**}** [سورة الإسراء، الآية: ٧٩]**. وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه ﷺ يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.**

٨- صاحب الحوض المورود، والمراد الحوض الكبير الكثير واردوه، أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضاً.

٩: ١١- إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم؛ لحديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر». **رواه الترمذي وحسنه**(١)**.**

١٢- أمته خير الأمم؛ لقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]. **فأما قوله تعالى:** {يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [سورة البقرة، الآية: ٤٧]. **فالمراد عالمي زمانهم.**

٧١- وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم. لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول والنبي ﷺ حي: أبو بكر ثم، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره.

٧٢- وصحت الرواية عن علي رضى الله عنه أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث".

٧٣- وروى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال: "ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر "(٢)**.**

٧٤- وهو أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضوان الله عليهم، وإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

٧٥- ثم من بعده عمر ﷺ، لفضله وعهد أبي بكر إليه.

---

(١) حسن. رواه أحمد (١٣٧/٥ - ١٣٨) والترمذى (٣٦١٥) وابن ماجة (٤٣١٤) والحاكم (٧١/١ - ٧٨/٤).

(٢) ضعيف. رواه أحمد فى "فضائل الصحابة" (١٣٥) وابن أبى عاصم فى "السنة" (١٢٢٤) وأبو نعيم فى "الحلية" (٣٢٥/٣) وفى سنده ابن جريج وعطاء وهما مدلسان وقد عنعناه.

٧٦- ثم عثمان ﷺ، لتقديم أهل الشورى له.

٧٧- ثم علي رضى الله عنه ، لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

٧٨- وهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال النبي ﷺ فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».

٧٩- وقال النبي ﷺ : «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» **فكان آخرها خلافة علي رضى الله عنه [(١)].**

الشرح

فضائل الصحابة

الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ : «خير الناس قرني». **الحديث رواه البخاري وغيره.**

وأفضل الصحابة المهاجرون لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ثم الأنصار.

وأفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم.

---

(١) صحيح. رواه أحمد (٥/٢٢٠، ٢٢١) وفى "الفضائل" (٧٨٩) وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) والطيالسى (١١٠٧) والترمذى (٢٢٢٦) والطبرانى فى "الكبير" (٦٤٤٢، ٦٤٤٣) والنسائى فى "فضائل الصحابة" (٥٢) والطبرى فى "صريح السنة" (٢٢٦) وابن حبان (٦٦٥٧، ٦٩٤٣) والحاكم (٣/١٤٥) والبيهقى فى "الدلائل" (٦/٣٤١، ٣٤٢)، وعلى بن الجعد فى "مسنده" (٣٤٤٦) والبغوى فى "شرح السنة" (٣٨٦٥) من حديث سفينة رضى الله عنه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى "الفتاوى" (٣٥/١٨): وهو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب وغيره، عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، ورواه أهل السنة كأبى داود وغيره، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره فى تقدير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته الإمام أحمد، واستدل به على من توقف فى خلافة علىّ من أجل افتراق الناس عليه.. وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف وهو مذهب العامة.

فأبو بكر هو الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر من بني تيم بن مرة بن كعب، أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وصاحبه في الهجرة، ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمته، اسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام قاله ابن إسحاق يعني من الذكور بعد الرسالة.

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب من بني عدي بن كعب بن لؤي، أسلم في السنة السادسة من البعثة بعد نحو أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده. استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ سنة.

وعثمان هو أبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم كان غنياً سخياً، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة ٣٥هـ عن ٩٠ سنة على أحد الأقوال.

وعلي وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما، فكان هو الخليفة شرعاً إلى أن قتل شهيداً في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة.

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نخير بين الناس فى زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان» **رواه البخاري ولأبي داود:** «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان» **زاد الطبراني في رواية:** «فيسمع ذلك النبي ﷺ فلا ينكره»**. هذا ولم أجد اللفظ ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب.**

وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي ﷺ قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رضي الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لفضله، وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت.

علي وعثمان وسعد وطلحةزبير وذو عوف رجال المشورة

ثم علي رضي الله عنه لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي ﷺ : «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»**.**

وقال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»**. رواه أحمد وأبو داود والترمذي. قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي، هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.**

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رضي الله عنه أثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهر من ١٩ ذي الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ في قوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». رواه البخاري.

٨٠ ـ ونشهد للعشرة بالجنة، كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن جراح في الجنة ".

٨١ـ وكل من شهد له النبي ﷺ شهدنا له بها، كقوله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة».

٨٢ ـ ولا نجزم لأحد منهم أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسئ.

الشهادة بالجنة أو النار:

الشهادة بالجنة أو النار ليس للعقل فيها مدخل فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن فلا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

وتنقسم الشهادة بالجنة أو النار إلى قسمين عامة وخاصة.

فالعامة هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار، أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار.

والخاصة هي المعلقة بشخص مثل أن نشهد لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

المعينون من أهل الجنة :

المعينون من أهل الجنة كثيرون ومنهم: العشرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلي فى الجنة، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد بن أبي وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»**. رواه الترمذي وصححه الألباني.**

وقد سبق الكلام على الخلفاء الأربعة، وأما الباقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحةوعامر فهو والزبير الممدح

فطلحة هو ابن عبيد الله من بني تميم بن مرة، أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قتل يوم الجمل في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ عن ٦٤ سنة.

والزبير هو ابن العوام من بني قصي بن كلاب ابن عمة رسول الله ﷺ، انصرف يوم الجمل عن قتال علي فلقيه ابن جرموز فقتله في جمادى الأولى سنة ٣٦هـ عن ٦٧ سنة.

وعبد الرحمن بن عوف من بني زهرة بن كلاب، توفي سنة ٣٢هـ عن ٧٢ سنة ودفن بالبقيع.

وسعد بن أبي وقاص، هو ابن مالك من بني عبد مناف ابن زهرة، أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودفن بالبقيع سنة ٥٥هـ عن ٨٢ سنة.

وسعيد بن زيد، هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين إلى الإسلام، توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة ٥١هـ عن بضع وسبعين سنة.

أبو عبيده هو عامر بن عبد الله بن الجراح من بني فهر، من السابقين إلى الإسلام توفي في الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨هـ عن ٥٨ سنة.

وممن شهد له النبي ﷺ بالجنة الحسن، والحسين، وثابت بن قيس.

قال النبي ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». رواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

قال ﷺ في ثابت بن قيس: «إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة» رواه البخاري.

فالحسن سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ولد فى ١٥ رمضان سنة ٣ ومات فى المدينة ودفن فى البقيع فى ربيع الأول ٥٠هـ.

والحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنه ولد فى شعبان سنة ٤هـ وقتل فى كربلاء فى ١٠ محرم سنة ٦١هـ وثابت وهو ابن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى خطيب الأنصار قُتل شهيداً يوم اليمامة سنة ١١هـ فى آخرها أو أول سنة ١٢هـ.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة :

من المعينين بالقرآن: أبو لهب عبد العزي بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وامرأته أم جميل اروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان؛ لقوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**}** [سورة المسد، الآية: ١] **إلى آخر السورة.**

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب؛ لقول النبي ﷺ : «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه». رواه البخاري.

ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي، قال النبي ﷺ : «رأيته يجر أمعاءه فى النار». رواه البخاري وغيره.

٨٣- ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

٨٤- ونرى الحج والجهاد ماضيان مع كل إمام، برا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

٨٥- قال أنس: قال النبي ﷺ : «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل. والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» رواه أبو داود[١].

---

(١) ضعيف. رواه أبو داود فى "الجهاد" (٢٥٣٢) باب فى الغزو مع أئمة الجور. وفى سنده يزيد بن أبى نشبة وهو مجهول كما فى "التقريب" (٣٧١/٢).

الشرح

تكفير أهل القبلة بالمعاصي:

أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها، لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار؛ لقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [سورة الحجرات، الآية: ٩] إلى قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [سورة الحجرات، الآية: ١٠]. فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية.

وقال النبي ﷺ : «يقول الله تعالى: من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه». يعني من النار. متفق عليه.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهو خالد في النار.

ونرد على الطائفتين بما يلي:

١- مخالفتهم نصوص الكتاب، والسنة.

٢- مخالفتهم لإجماع السلف.

٨٦- ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم.

قال الله تعالي:{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلآِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِْيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا**} [الحشر: ١٠].**

وقال الله تعالي:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**} [الفتح: ٢٩].**

الشرح

حقوق الصحابة رضي الله عنهم

للصحابة رضي الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله، ورسوله، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظ دين الله بحفظ كتابه، وسنة رسوله ﷺ، علماً، وعملاً، وتعليماً حتى بلغوه الأمة نقياً طرياً.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**} [سورة الفتح، الآية: ٢٩]. إلى آخر السورة.**

وحمى رسول الله ﷺ حمى كرامتهم حيث يقول ﷺ : «لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». متفق عليه. فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق، فلهم على الأمة:

١- محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

٢- الترحم عليهم، والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**} [سورة الحشر، الآية: ١٠].**

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل، وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي». الحديث.

٨٧- وقال النبي ﷺ : «لا تسبوا (أحدا من) أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

الشرح

حكم سب الصحابة

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر، ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه في كتاب "الصارم المسلول"، ونقل عن أحمد (ص٥٧٣) قوله: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد فى الحبس حتى يموت أو يرجع».

٨٨ - ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ، أمهات المؤمنين المطهرات، المبرآت من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

الشرح

حقوق زوجات النبي ﷺ

زوجات النبي ﷺ، زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين، ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته ﷺ اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

١- خديجة بنت خويلد أم أولاده - ما عدا إبراهيم - تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوجين: الأول عتيق بن عابد. والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت سنة ١٠هـ من البعثة قبل المعراج.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق، أريها ﷺ في المنام مرتين أو ثلاثاً. وقيل: هذه امرأتك، فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين، توفيت سنة ٥٨هـ.

٣- سودة بنت زمعة العامرية، تزوجها بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، توفيت آخر خلافة عمر وقيل سنة ٥٤هـ.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب، تزوجها ﷺ بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد، وماتت سنة ٤١هـ.

٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، تزوجها بعد استشهاد زوجها عبد الله بن جحش في أحد، وماتت سنة ٤هـ بعد زواجها بيسير.

٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، تزوجها بعد موت زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد، وماتت سنة ٦١هـ.

٧- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته ﷺ، تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سنة ٥هـ، وماتت سنة ٢٠هـ.

٨- جويرية بنت الحارث الخزاعية، تزوجها بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل: مالك بن صفوان سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٦هـ.

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تزوجها بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيد الله بن جحش، وماتت في المدينة في خلافة أخيها سنة ٤٤هـ.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير من ذرية هارون بن عمران ﷺ، أعتقها وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما سلام بن مشكم. والثاني كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سنة ٦هـ، وماتت سنة ٥٠هـ.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة ٧هـ في عمرة القضاء بعد زوجين: الأول ابن عب ياليل والثاني أبورهم بن عبد العزي، بنى بها في سرف، وماتت فيه سنة ٥١هـ.

فهذه زوجات النبي ﷺ، اللاتي كان فراقهن بالوفاة، اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

وبقي اثنتان لم يدخل بهما، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

١- أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي ﷺ ثم فارقها، واختلف في سبب الفراق، فقال ابن إسحاق: إنه وجد في كشحها بياضاً ففارقها فتموجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

٢- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت: «أعوذ بالله منك» ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي ﷺ خديجة، وعائشة رضي الله عنهما، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة، والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

قذف أمهات المؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر؛ لأنه تكذيب للقرآن، وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما أنه كفر؛ لأنه قدح في النبي ﷺ، فإن الخبيثات للخبيثين.

٨٩- ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين، رضي الله عنهم.

الشرح

معاوية بن أبي سفيان

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمسين سنة، وأسلم عام الفتح وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه، ولاه عمر الشام واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام ٣٧هـ، واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة ٤١هـ، كان يكتب للنبي ﷺ، ومن جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨ سنة. وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنة ص١٩٩

ج٢ نزاعاً بين العلماء: هل يقال لإخوة أمهات المؤمنين أخوال المؤمنين أم لا؟.

٩٠ - ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

٩١- ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس، ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته، والخروج عليه، وشق عصا المسلمين.

الشرح

الخلافــة

الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تولي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما ي خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [سورة النساء، الآية: ٥٩].

ولقوله ﷺ : «السمع والطاعة على المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». متفق عليه.

وسواء كان الإمام براً وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركاً، أو فاجراً وهو الفاسق لقوله ﷺ : «إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة». رواه مسلم.

والحج والجهاد مع الأئمة ماضيان نافذان، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة سواء كانوا أبراراً أو فجاراً؛ لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد عليهم.

والحديث الذي ذكره المؤلف "ثلاث من أصل الإيمان... " إلخ ضعيف كما رمز له السيوطي في الجامع الصغير، وفيه راو قال المزي: إنه مجهول. وقل المنذري في مختصر أبي داود: شبه مجهول.

والثلاث الخصال المذكورة فيه هي: "الكف عمن قال: لا إله إلا الله" والثانية: "الجهاد ماض" إلخ. والثالثة: "الإيمان بالاقدار".

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان». متفق عليه

وقال ﷺ : «يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا. لا، ما صلوا». أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم.

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح؛ لأن النبي ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة.

٩٢ ـ ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم. وكل محدثة في الدين بدعة.

الشرح

هجران أهل البدع

الهجران مصدر هجر وهو لغة: الترك.

والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب؛ لقوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَه**}** [سورة المجادلة، الآية: ٢٢]**. ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك.**

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوباً؛ لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}** [سورة النحل، الآية: ١٢٥]**. وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة، والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في**

كتبهم خوفاً من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله ﷺ في الدجال: «من سمع به فلينأ عنه، فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»**. رواه أبو داود. قال الألباني: وإسناده صحيح.**

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد عليهم، بل ربما كان واجباً؛ لأن رد البدعة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الجدال والخصام في الدين

الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللد في الخصومة، والخصام: المجادلة فهما بمعنى واحد.

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوباً، أو استحباباً بحسب الحال؛ لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**}** [سورة النحل، الآية: ١٢٥]**.**

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت، أو الانتصار للنفس، أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**}** [سورة غافر، الآية: ٤]**. وقوله: {**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**}** [سورة غافر، الآية: ٥]**.**

٩٣- وكل مُتَسمٍ بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والسالمة، والكلابية، ونظرائهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

الشرح

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم:

لأهل البدع علامات منها:

١- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة، بما يحدثونه من البدع القولية، والفعلية، والعقيدية.

٢- أنهم يتعصبون لآرائهم، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

ومن طوائفهم:

١- الرافضية: وهم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة، أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن علياً إله، ومنهم دون ذلك.

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي - رضي اله عنه - بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

ومذهبهم في الصفات مختلف: فمنهم المشبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل.

وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.

وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة.

٢- الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ.

مذهبهم في الصفات التعطيل، والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان، ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة، جبرية، مرجئة وهم فرق كثيرة.

٣- الخوارج: وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.

مذهبهم التبرؤ من عثمان، وعلي، والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة.

٤- القدرية: وهم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته، وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.

وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذين استقر عليه مذهبهم.

٥- المرجئة: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وإذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لترك هذا العمل، وهذا مذهب الجهمية وهو مع مذهب الخوارج على طرفي نقيض.

٦- المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر أن الفاسق في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر، وهو مخلد في النار، وتابعه في ذلك عمرو بن عبيد.

ومذهبهم في الصفات التعطيل كالجهمية، وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد، وفي فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار وخارج من الإيمان في منزلة بين منزلتين الإيمان والكفر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

٧- الكرامية: أتباع محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ يميلون إلى التشبيه، والقول بالإرجاء وهم طوائف متعددة.

٨- السالمة: أتباع رجل يقال له ابن سالم، يقولون بالتشبيه.

وهذه هي الطوائف التي ذكرها المؤلف ثم قال: ونظرائهم مثل الأشعرية أتباع الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، كان في أول أمره يميل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمذهب أهل السنة رحمه الله، أما من ينتسبون إليه فبقوا على مذهب خاص يعرف بمذهب الأشعرية لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً زعموا أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام، والقدر وغير ذلك.

٩٤- وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون على اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

٩٥- نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات، برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الشرح

الخلاف في الفروع

الفروع جمع فرع وهو لغة: ما بني على غيره.

واصطلاحاً: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة، والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب، لأنه وقع في عهد النبي ﷺ، ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: «لا يصلين أحد العصر إلا فى بني قريظة» **. فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة، وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت، ولم ينكر النبي ﷺ على واحد منهم. رواه البخاري. ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة، ولا بغضاء، ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول.**

وقول المؤلف: "المختلفون فيه محمودون في اختلافهم" ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه، وأن كل واحد محمود على ما قال، لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق، وقوله: "إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة"، أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم" فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد.

الإجماع وحكمه

الإجماع لغة: العز والاتفاق.

واصطلاحاً: اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي بعد النبي ﷺ.

وهو حجة لقوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [سورة النساء، الآية: ٥٩]. وقول النبي ﷺ : «لا تجتمع أمتي على ضلالة». رواه الترمذي.

التقليـــد

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.

واصطلاحاً: اتباع قول الغير لا حجة.

وهو جائز لمن لا يصل إلى العلم بنفسه قوله تعالى: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [سورة النحل، الآية: ٤٣].

والمذاهب المشهورة أربعة:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

الشافعي: وإمامه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد سنة ١٥٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ.

الحنبلي: وإمامه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ.

وهناك مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية، والزيدية، والسفيانية، وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً، ويترك من قوله ما كان خطأ، ولا عصمة إلا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً، وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والحمد لله كثيراً، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه، عز جلاله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تم في عصر الجمعة الموافق ١٣٩٢/١/١٠هـ.

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

الفهرس

* * * * * * * * *